مجلة الشهاب • المجلد: 11، العدد: 1 (2025م) • ص ص 117 – 140
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

منهجية التعامل مع القصص القرآني عند الحداثيين
ـ دراسة نقدية مقارنة بين محمد عابد الجابري ومحمد شحرور ـ

The methodology of dealing with Quranic stories among modernists. a critical comparative study between Muhammad Abed Al. Jabri and Muhammad Shahrour.

باي بن زيد *
مخبر الدراسات الشرعية
جامعة تلمسان (الجزائر)
Benzid.bey@univtlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2023-03-30	تاريخ القبول: 2025-02-02	تاريخ النشر: 15. 03. 2025

****

ملخص:

يشكل موضوع هذا البحث محاولة الوقوف على حقيقة الفهم الحداثي المعاصر للقصص القرآني، وبيان أهم مرتكزاته الرئيسة، وأثر هذا الفهم على قدسية الكتاب المبين وفق رؤية مقارنة بين اتجاهين مخلفتين في المنطلقات وآليات التعامل وثمرات توظيف المناهج الغربية في بيان المعاني القرآنية بصفة عامة والقصص القرآني بصفة خاصة بحجة التجديد والمعاصرة في فهم كلام الله الباري جل وعلا.

ولتجلية المقصود بالبحث، تناولت هذه الدراسةُ معالم الفهم الحداثي للقصص القرآني لعلمين اثنين من كبار منظري هذا الفهم الجديد وهما محمد شحرور من خلال بعض كتبه: " الكتاب والقرآن" و" القصص القرآني"، ومحمد عابد الجابري من خلال بعض كتبه: " مدخل إلى القرآن، والتفسير الواضح حسب ترتيب النزول" مركزة على استعراض أهم الأسس والمرتكزات المنهجية لهذا الفهم والمقارنة بينهما وفق نماذج تطبيقية توضح الخللَ المنهجي والعلمي عندهما في تناول (القصص القرآني) مما ينزع عنه ثوب القدسية، ويعزله عن مقام البيان والتشريع.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني، منهجية التعامل، الفهم الحداثي، محمد شحرور، محمد عابد الجابري.

* المؤلف المراسل.

Abstract:

The subject of this research is an attempt to identify the reality of the modern contemporary understanding of the Quranic stories, and the statement of its most important main pillars, and the impact of this understanding on the sanctity of the book shown according to a comparative vision between two different trends in the principles and mechanisms of dealing and the fruits of employing Western approaches in the statement of Quranic meanings in general and Quranic stories in particular on the pretext of renewal and contemporaneity in understanding the righteous words of Allah most and all. To clarify the purpose of the research, this study dealt with the features of the modern understanding of the Quranic stories of two scholars, two of the leading theorists of this new understanding, namely Muhammad Shahrour through some of his books: "the book and the Qur'an" and" Quranic stories", and Muhammad Abid Al-Jabri through some of his books: "An Introduction to the Qur'an, and clear interpretation in the order of descent" focused on reviewing the most important methodological foundations and foundations of this understanding and comparing them according to applied models the dress of sanctity, isolating it from the place of statement and legislation.

Keywords: The Quranic stories, the methodology of dealing, the modern understanding, Muhammad Shahrour, Muhammad Abid Al-Jabri.

1. مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل اللسان العربي ترجمان القرآن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تكفل بحفظ كتابه المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين وأمره أن يبين للناس ما نزل إليهم من آيات الذكر الحكيم، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن مما هو مقرر عقلا وواقعا أن المناهج الفكرية والعلمية تختلف من فن لآخر، ومن علم لآخر فلكل مميزاته وخصائصه، والثمرات المرجوة من توظيفه، وعليه فلا يمكن إسقاط منهج معين وتوظيفه في غير الفن المناسبب له حتى ولو كان في التخصص الواحد، فكيف يستقيم حينها عند استيراد مناهج غربية غريبة ومحاولة إسقاطها على فنون الشريعة بحجة التطور الفكري والفلسفي لإنسان العصر، وضرورة مراعاة فهم المقدس بأدوات الفهم الحديثة.

ومن باب الإنصاف أن بعض هذه المناهج قد تعطي بعض الثمرات نتيجة التقاطعات بين العلوم، لكن يستحيل عقلا أن تؤتي أكلها بالإسقاط الكلي غير المنضبط، والمتفلت من القيود العلمية في كثير من توظيفه، إذ تبقى هذه المحاولات قاصرة ومحدودة على درك مقاصد الكمال المطلق الذي تكفل الله بحفظه وبيانه..

ومن أشهر أبناء المدرسة الحداثية في الوطن العربي والتي تتبنى فكر النأي عن المنهج القديم والتقليدي لفهم نصوص الوحي التي أضفى عليها الجمود والركود حسب زعمهم: " محمد عابد الجابري" ومحمد شحرور " في قراءاتهما الجديدة للتراث الإسلامي عامة، والقرآن الكريم خاصة، وبما أن القصص القرآني جزء من كتاب ربنا الكريم فإن هذا الفهم قد طال القصص الحق، وتباينت رؤى أصحابه بين من

يعتقد أن الأمر لا يعدو كونه أساطير وخرافات وأنباء تُترجم الخيال الديني الفسيح للعرب زمن التنزيل كمحمد شحرور، ومن يرى أن هذا القصص إنما سيق لغرض التمثيل لأخذ العبرة ليس إلا كمحمد عابد الجابري.

وهذا البحث محاولة للوقوف على حقيقة الفهم الحداثي للقصص القرآني أو ما يعرف بالقراءات الجديدة أو المعاصرة، وبيان المرتكزات والأسس التي يبنى عليها هذا الفهم، وما يترتب على ذلك من نتائج وثمرات تخص قدسية القرآن الكريم، بإجراء مقارنة نقدية بين مناهج الأستاذين والتحقق من ادعاء الموضوعية في طرح الإشكالات العلمية والإجابة عنها.

الإشكالية:

يعدُّ الباحث محمد عابد الجابري والباحث محمد شحرور من متصدري مشروع الفهم الحداثي الذي يبنى على القطيعة مع الموروث، وتقديس العقل باستثمار المناهج الفكرية الغربية، فما حقيقة هذا الفهم المعاصر للقصص القرآني عندهما؟ وما مدى صحة ما يدعياه من القواعد المنهجية، والموضوعية العلمية المتبعة في قراءتهما الجديدة ؟.وما هي مآلات هذا الفهم على قدسية القصص القرآني وأحكامه؟

وتندرج تحت هذا الإشكال أسئلة فرعية يمكن بيانها كالآتي:

. ما المقصود بالفهم الحداثي المعاصر؟ وما حقيقته ودلالاته ؟

. من هو محمد عابد الجابري؟ ومن هو محمد شحرور؟ وما هي مرتكزات كل منهما في نظرته الجديدة والمعاصرة للقصص القرآني؟

- ما هي مجالات التقاطع بين النظرتين للقصص القرآني؟ وما هي مواطن الاختلاف؟
- ما هي مآلات هذه المحاولات الجديدة في الفهم؟
- كيف يمكن الرد على مواضع الخلل المنهجي والموضوعي لكل منهما؟

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في:

- الوقوف على حقيقة الفهم الحداثي للقصص القرآني، واستعراض مقاصده وأهدافه عند أشهر منظري العصرنة والحداثة في تناول التراث الإسلامي عامة والقرآن الكريم خاصة.
- بيان المرتكزات والأسس التي يبنى عليها هذا الفهم، ومعرفة مآل ذلك في ما يتعلق بقدسية القرآن الكريم.
- عقد مقارنة علمية موضوعية بين فهم محمد عابد الجابري ومحمد شحرور للقصص القرآني.
- استصحاب المقارنة بالنقد الموضوعي لمواطن الخلل في البرهنة والاستنتاج لكل منهما في ضوء نماذج تطبيقية منتقاة.

المنهج المتبع في البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أتبع المنهج الوصفي في بيان حقيقة الفهم الحداثي المتبنى من الباحثين، ومعرفة الأسس العلمية المتبعة في ذلك، وكذا المنهج النقدي في بيان مواطن الخلل في البرهنة والاستنتاج لكل منهما، مع الاستعانة بأداة المقارنة للوقوف على مواطن الوفاق والفراق بين القراءتين.

خطة البحث:

وزعت المادة العلمية على الآتية.

1. مدخل: ويتضمن ضبط مصطلحات البحث.
2. حقيقة الفهم الحداثي المعاصر للقصص القرآني عند محمد شحرور ومحمد عابد الجابري والمقارنة بينهما.
3. مرتكزات الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري ومحمد شحرور، والمقارنة بينهما.
4. نماذج من الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري ومحمد شحرور –عرض ونقد-
5. خاتمة: وفيها أهم النتائج.

2. مدخل: ضبط مصطلحات البحث

إنّ ضبط المصطلحات وتحرير المفاهيم مقدمة لا بدّ منها، وأهم المصطلحات التي ينبغي أن تعنى في هذا البحث هي:

1.2. تعريف الفهم الحداثي للقصص القرآني:

يقصد بالفهم الحداثي في هذه الدراسة ما يعبر عنه واشتهر بمصطلح القراءة الجديدة أو القراءة المعاصرة، وهي تلك النظرة الحداثية التي تتبنى المناهج الغربية في فهم التراث الإسلامي بصفة عامة والمقدس من النصوص خاصة.

بقول محمد صبري خليل متحدثا عن هذه القراءة المعاصرة:" هي مصطلح حديث يراد به استخدام النظريات الحديثة في فهم وتأويل النص الديني، وقد تعددت تلك النظريات فمنها القائلة بتاريخية النص، ومنها المعتمدة على مناهج التحليل"[1]

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذه النظريات الحديثة المستخدمة في تأويل النص الديني عامة، والقرآن الكريم خاصة ليست بحقائق علمية وإنما نظريات لا زالت تحت الاختبار، أو ثبت بطلانها.[2]

2.2. مفهوم القصص القرآني:

أ- تعريف القصة لغة: جاء في معجم مختار الصحاح أن:" (قَصَّ) أَثَرَهُ تَتَبَّعَهُ مِنْ بَابِ رَدَّ و(قَصَصًا) أَيْضًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: 64) وَكَذَا (اقْتَصَّ) أَثَرَهُ و(تَقَصَّصَ) أَثَرَهُ.

(1) ينظر: محمود علي أحمد علي صالح، القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند محمد أركون (عرض ونقد)، العدد:4، ص: 38.

(2) بن زيد باي، القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، ص:580.

... و(قَصَّ) عَلَيْهِ الْخَبَرَ (قَصَصًا) وَالِاسْمُ أَيْضًا (الْقَصَصُ) بِالْفَتْحِ وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ، و(الْقِصَصُ) بِالْكَسْرِ جَمْعُ (الْقِصَّةِ) الَّتِي تُكْتَبُ"[1].

مما سبق يمكن القول أن دلالة القَصِّ في المعجم اللغوي هي التتبع، ووجه الشاهد اللغوي فيما يعني بحثنا أن القصص بالفتح هي الأخبار.

ب- تعريف القصص القرآني اصطلاحا: إن المراد بالقصص القرآني هو أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.[2]

3. حقيقة الفهم الحداثي المعاصر للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري ومحمد شحرور والمقارنة بينهما.

1.3. ترجمة محمد عابد الجابري ومحمد شحرور:

أ- ترجمة موجزة للدكتور محمد عابد الجابري: ولد محمد عابد الجابري صباح يوم عيد الفطر عام 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م، بمدينة فجيج جنوب شرق المغرب[3]، انفصل والداه قبل مولده، فنشأ نشأته الأولى عند أهل أمه الذين عُرفوا بالعلم والتواضع والمسكنة[4]، وحظي لديهم برعاية فائقة خاصة من جده الذي حرص تأديبه وتلقينه بعض قصار السور والأدعية قبل دخوله الكتاب[5]، أما أمه فقد عكفت على تربيته ولم تتزوج إلى أن بلغ سبع سنوات[6]، بدأ الجابري حياته وسط بيئة تغمرها أفكار الشعوذة، ويكثر فيها الحديث عن الجان والشياطين، وتسودها اعتقادات باطلة كالتطير والتشاؤم أو الاستبشار بالأشياء والحيوانات وغيرها[7].

التحق الجابري بكُتّاب القرية أين تعلم الكتابة والقراءة وحفظ بعض سور القرآن، ثم انتقل إلى كُتّاب آخر كان صاحبه والد الرجل الفقيه الذي تزوج أمه، لكنه مكث فيه مدة قصيرة فقط، لأنه اضطر للذهاب للعيش في بيت أبيه، أين لقي عناية بالغة من أهل والده أيضا، وألحقه عمه بالمدرسة الفرنسية بالبلد فبرع في الحساب والقراءة[8]، وقضى فيها نحوا من سنتين، ليدخل بعدها مدرسة النهضة المحمدية

(1) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة: (قصص)، ص:558.
(2) ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.7، 1995، ص: 300.
(3) ينظر: محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، ص:37..
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص: 24 وما بعدها.
(5) ينظر: المرجع نفسه، ص: 45.
(6) ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.
(7) ينظر: المرجع نفسه، ص: 17 وما بعدها.
(8) ينظر: المرجع نفسه، ص: 45 وما بعدها.

بمجرد تدشينها، ولم تمض سوى سنتين حتى تخرج فيها حاملا الشهادة الابتدائية عام 1949م[1]، ثم التحق بالقسم التكميلي الذي افتتحه الحاج محمد فرج للناجحين في الشهادة الابتدائية، فتعلم بعض المواد الفقهية واللغوية والأدبية والتاريخ والحساب واللغة الفرنسية، وقد اعتبر الجابري تلك السنة اللبنة الأولى في صرحه الثقافي، وبالتحديد في تعامله مع النصوص التراثية، ورغم ذلك لم يكتف بما يقدم له هناك، بل حرص على قراءة كل ما يقع بين يديه من مراجع وكتب، وفي 1950دخل الجابري القسم الإعدادي بوجدة فتعلم الانفتاح على المعارف العصرية والمناهج الحديثة[2].

وفي 1955 نجح في امتحان الشهادة الثانوية وامتحان الديبلوم الأول في الترجمة، ثم اجتاز امتحان الكفاءة في التعليم الابتدائي ونجح فيه عام 1956، وفي عام1957 حصل الجابري على شهادة البكالوريا كمترشح حر[3]، وفي أكتوبر من عام 1958 التحق بكلية الآداب التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، فحصل على ديبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام 1967، ثم على دكتوراه دولة في الفلسفة عام 1970في رسالة موسومة: العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي[4].

ب- مؤلفات محمد عابد الجابري:[5]

لعل أشهر كتب محمد الجابري ما يأتي:

- العصبية والدولة: سنة 1971.
- مدخل إلى فلسفة العلوم: مكون من جزأين 1976.
- من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية 1977.
- نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي 1980 (ترجم إلى الإسبانية).
- الخطاب العربي المعاصر: (دراسة تحليلية نقدية **1982** «ترجم إلى التركية).
- تكوين العقل العربي: 1984.
- بنية العقل العربي: 1986.
- إشكاليات الفكر العربي المعاصر 1988.
- المشروع النهضوي العربي 1996.
- نحو إعادة بناء الفكر العربي المعاصر1997.
- في نقد الحاجة إلى الإصلاح سبتمبر 2005.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص: 77 وما بعدها.

(2) ينظر: محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، ص: 126 وما بعدها.

(3) ينظر: حفريات في الذاكرة من بعيد، ص: 147 وما بعدها.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص: 176.

(5) ينظر: أمال بن علي وبن عطية عطية، القراءة الحديثة للنص الديني في الفكر العربي المعاصر (محمد عابد الجابري أنموذجا)، ص:443.

- مدخل إلى القرآن: سبتمبر 2006.
- فهم القرآن: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، 2007.

ج- ترجمة موجزة للدكتور محمد شحرور: ولد محمد شحرور في دمشق عام 1938، أتم تعليمه الثانوي في دمشق وحاز على الثانوية العامة 1958، وسافر بعد ذلك إلى الاتحاد السوفييتي ليتابع دراسته في الهندسة المدنية، وتخرج بدرجة دبلوم 1964 من جامعة موسكو آنذاك ثم عاد لدمشق ليعين في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق حتى عام 1968. أوفد إلى جامعة دبلن بأيرلندا عام 1968 للحصول على شهادتي الماجستير عام 1969، والدكتوراه عام 1972 في الهندسة المدنية – اختصاص ميكانيكا تربة وأساسات. عين مدرساً في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق عام 1972 لمادة ميكانيك التربة، ثم أستاذا مساعداً. افتتح مكتباً هندسياً استشارياً لممارسة المهنة كاستشاري منذ عام 1973.[1] وفي الواحد والعشرين من شهر ديسمبر من عام 2019م أعلن المكتب الإعلامي للدكتور عن وفاته بأبوظبي بالإمارات العربية المتحدة.[2]

د- مؤلفات د. محمد شحرور:[3]

- الكتاب والقرآن (قراءة معاصرة) 1990.
- دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع 1994.
- الإسلام والإيمان – منظومة القيم 1996،.
- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: فقه المرأة (الوصية، الإرث، القوامة، التعددية، اللباس) 2000.
- تجفيف منابع الإرهاب 2008.
- القصص القرآني (قراءة معاصرة) المجلد الأول: مدخل إلى القصص وقصة آدم 2010.
- القصص القرآني (قراءة معاصرة) الجزء الثاني: من نوح إلى يوسف 2011.
- السنة الرسولية والسنة النبوية: رؤية جديدة 2011.
- الدين والسلطة. قراءة معاصرة للحاكمية 2013.

2.3. مفهوم القصص القرآني عند محمد عابد الجابري وأهدافه:

(1) صبري محمد خليل، قراءة نقدية إسلاميه للقراءة المعاصرة للدين عند د. محمد شحرور، موقع: د/صبري محمد خليل خيري، اطلع عليه يوم: 15 جويلية 2018م، الساعة: 2230.

(2) محمد شحرور، موقع: https://ar.wikipedia.org، اطلع عليه يوم: 20 ديسمبر 2022م، الساعة: 2230.

(3) صبري محمد خليل، قراءة نقدية إسلاميه للقراءة المعاصرة للدين عند د. محمد شحرور، موقع: د/صبري محمد خليل خيري، اطلع عليه يوم: 15 جويلية 2018م، الساعة: 2230.

يعدُّ الجابري القصص القرآني مرآة تتجلى فيها الدعوة ذاتها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها عبر التاريخ المقدس للأنبياء والرسل، فهي نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل.[1]

والقصص القرآني ليس قصصا خياليا بل هو قصص يتحدث عن وقائع تاريخية تدخل ضمن معهود العرب[2].

والصدق في هذا المجال سواء تعلق بالمثل أو بالقصة لا يلتمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده. فإذا كنا نعجب بمثل وننفعل له فهو صادق بالنسبة إلينا أما صدقه في نفسه فلا يكون موضوع سؤال مادام يثير فينا ذلك الانفعال المعبر عن الإعجاب والتصديق، وهذا سواء كانت الشخصية التي يضرب بها المثل إنسانا أو حيوانا أو غيرهما.[3]

نقد مفهوم القصص القرآني عند محمد عابد الجابري:

عند الإمعان في تعريف الجابري للقصص القرآني يمكن الجزم بالتناقض الواضح في توظيف البراهين، وانتقاء المعايير في التعريفات ويمكن إجمال هذا التناقض في العناصر الآتية:

. عند الحديث عن رؤيته لطبيعة القصص القرآني نجده يحكم مخيال المستمع ومعهوده، فأصبح العقل البشري القاصر حاكما على واقعية النص المقدس، وليس يخفى على عاقل خطورة هذا الحكم الذي يلزم منه نفي الصدق وكذا عدم الواقعية للقصة القرآنية خصوصا ما تعلق بقصص الأنبياء.

. من غريب التناقض المنهجي أننا نجده يقر أنَّ ما يخص قصص القرآن المتعلقة بالدعوة المحمدية حقائق تاريخية وردت في شأنها أخبار في كتب السيرة، وبالمقابل نرى موقفه على النقيض من ذلك إذا تعلق الأمر بقصص الأنبياء السابقين، والذي يدل فحوى خطابه أنه يراها مجرد خيالات سيقت للعبرة، فلا ندري لم يؤمن ببعض الكتاب ويعرض عن بعضه، وهو الذي ألزم نفسه في صفحة 258 من كتابه مدخل إلى القرآن الكريم الاقتصار على المادة التي يعطيها القرآن وحده.

يقول الباحث طارق حجي:" فالجابري لم يستطع التعريف بالقصة القرآنية تعريفًا إيجابيًّا، إذ كان همّه إظهار كونها (بيانًا/برهانًا عن واقعة خارجة عن النصّ)، وفصم علاقتها بالميثولوجيات وبالتاريخ، لكن هذا يحصر وظيفة القصّة في وظيفة فقيرة للغاية (البرهان على قضية خارجة عنها) لا تُناسِب الزخم السردي للقرآن"[4].

(1) ينظر: محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2006م، ط.1، ص:257 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه، ص:259.

(3) محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص:258.

(4) طارق حجي، الجابري والقراءة العقلانية للقرآن، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص:21 وما بعدها.

3.3. مفهوم القصص القرآني عند محمد شحرورو أقسامه:

أ- مفهوم القصص القرآني عند محمد شحرور: يعرف شحرور القصص القرآني قائلا: " مجموعة أحداث إنسانية تم تسجيلها بعد وقوعها، كما تم تصنيفها وحفظها في إمام مبين، وأن الحدث الإنساني قبل وقوعه يدخل في عالم الممكنات، وبعد وقوعه يدخل في عالم الحتميات"[1].

ويقول في كتابه الكتاب والقرآن:" فقصص القرآن والذي سماه الكتاب المبين وأحسن القصص يعطينا خط تطور التاريخ الإنساني بالمعرفة والتشريع أي التفاعل الإنساني مع الوجود الإلهي والكوني بالعقيدة والتفاعل الإنساني مع التشريع بالسلوك "[2].

نقد مفهوم القصص القرآني عند محمد شحرور:

يفهم من تعريف شحرور للقصص القرآني من خلال ما ذكره بأنه "مجموعة أحداث إنسانية تم تسجيلها بعد وقوعها" أنه يقدح في علم الله الأزلي بالأشياء، كيف لا وقد تساءل في كتابه الكتاب والقرآن: "هل علم الله يقيني أم احتمالي ؟! ثم أجاب قائلا: نقول هو الاثنان معا"[3]، أي أن الله لا يعلم احتمالات تصرفات الإنسان كلها من الأزل، وإنما يعلمها بعد وجودها، وهذا عين التكذيب بالقضاء والقدر.[4]

ب- أقسام القصص القرآني عند محمد شحرور: قسم شحرور القصص القرآني إلى قسمين، اما أحدهما فيتعلق بأخبار الأولين وأما الآخر فسماه بالقصص المحمدي.

أولا: القصص القرآني: وهو الذي سماه الكتاب المبين وأحسن القصص يعطينا خط تطور التاريخ الإنساني مع التشريع، وقد غطاها القرآن بجزء هام منه، وهو القصص الذي بدأ بقصة نوح تليها زمنيا قصة هود.[5]

ثانيا: القصص المحمدي: هي نصوص تشكل في مجموعها صدى تسجيل الوحي لحراك التجربة النبوية في عصر التنزيل، وهي تحوي بالتالي تسجيلا لسيرة الرسول الأعظم وهو مانسميه هنا بالقصص المحمدي[6].

القصص المحمدي والفرق بينه وبين السيرة النبوية عند محمد شحرور: [7]

(1) محمد شحرور، مدخل إلى القصص، دار الساقي، ط.2، 2010م، ص: 8.

(2) محمد شحرور، الكتاب والقرآن. ص:675.

(3) المرجع نفسه، ص: 336.

(4) بن زيد باي، القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، ص:582.

(5) ينظر: الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص: .675

(6) القصص القرآني قراءة معاصرة، مدخل إلى القصص وقصة آدم، ج:01، ص:114.

(7) بن زيد باي، القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، ص:582.

يقول شحرور:" علينا أن نفرق بين أمرين مختلفين في غاية الأهمية، وهما القصص المحمدي الوارد في التنزيل والسيرة النبوية التي كتبها كتاب السيرة، فما ورد من أحداث تاريخية في سورة التوبة أو الأنفال أو محمد وغيرها من الأحداث التي تتعلق بالرسالة المحمدية هي جزء من القصص...هذه الأحداث لا تحتوي على أي تشريعات، بل فيها عبر فقط...بينما كتب السيرة هي كتب تاريخ فقط، اختلط فيها الديني والتاريخي والأسطوري لتصبح قراءة مغلقة على نفسها تشرع للسلطة الكهنوتية والسياسية "[1].

4.3. المقارنة بين تعريف الباحثين وما يبنى على ذلك:

أولا: مواطن الاتفاق بين التعريفين:

- مخالفة التعريفين لمفهوم القصص القرآني عند جمهور السلف والخلف.
- أثر طبيعة العقل والخيال في قراءة القصص القرآني، مما يربطها بالأساطير والخيالات.
- حصر مقاصد القصص القرآني في العبرة والاتعاظ.
- عزل القصص القرآني عن مقام البيان والتشريع، وفي هذا تعطيل لكثير من الشرائع الإسلامية.

ثانيا: مواطن الفراق بين التعريفين:

- عند الحديث عن القصص الذي يتعلق بالنبيﷺ فإن الجابري يعدُّ كتب السيرة التي تحدثت عن ذلك دليل صدقها، بينما نجد شحرور يلغيها تماما، ويعدُّها أساطير وفي ذلك لمز مباشر وصريح لما دُوِّن من السنة المطهرة.
- القصص القرآني الذي يتعلق بأخبار الأولين يعدُّها أحداثا إنسانية، وقد سجلت بعد وقوعها وليس يخفى ما في هذا الادعاء من قدح في علم الله تعالى، بينما يراها الجابري أنها من باب فسيح الخيال.

4. مرتكزات الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري ومحمد شحرور، والمقارنة بينهما.

1.4. مرتكزات الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري:

اعتمد الجابري مجموعة من الأسس والمرتكزات في قراءته للقصص القرآني يمكن بيان أهمها فيما يأتي:

أ- **فهم القصص القرآني رهين مراعاة ترتيب النزول للقرآن الكريم:** إذْ مراعاة هذا المنهج يجعلنا نأخذ بعين الاعتبار (مسار الدعوة ومسار تكون القرآن بالتساوق)، بمعنى أن تتمّ قراءة القرآن بالسيرة، وقراءة السيرة بالقرآن.[2] بقول الجابري:" والأمر الرابع الذي تتميز به هذه الدراسة عن غيرها كونها تلتزم

(1) محمد شحرور، مدخل إلى القصص، ص: 3.

(2) محمد كنفودي، القراءات الحداثية للقرآن (2.3)، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص:11 وما بعدها .

بتتبع القص القرآني حسب ترتيب النزول وليس حسب ترتيب المصحف كما جرت العادة...هدفنا تتبع تطور هذا القص مع تطور الدعوة المحمدية.."[1].

فالملاحظ على منهجه في التعامل مع القصص القرآني أنه يعتمد بالدرجة الأولى على الفهم حسب ترتيب النزول لا على ترتيب المصحف، وقد بين أن من أغراض هذا التوظيف تتبع تطور القصص القرآني حسب تطور الدعوة المحمدية.

ب- تقسيم القصص القرآني إلى أصناف ثلاثة تبعا لأغراض نزولها: يُحقِّب الجابري القصص القرآني وفقًا لمراحل الدعوة المحمدية في مكة والمدينة، إذ يُقسِّمه لثلاث مراحل: مرحلتين مكيتين ومرحلة مدنية، ويدرس القصص القرآني وفقًا لأغراضه التي تَتَساوَق مع مسيرة الدعوة المحمدية.[2]

ويرى الجابري أنّ ثمة ثلاثة أصناف من القصص القرآني وفقًا لغرض نزولها:[3] الصنف الأول: يتوخى توجيه الاهتمام إلى المصير الذي آلت إليه الأقوام التي كذّبت رسلها، بمقصد أساس هو تخويف خصوم الدعوة المحمدية وتحذيرهم من المصير نفسه، وهذا الصنف معظمه من قصص (أهل القرى) مع أنبيائهم الذين هم في الأغلب أنبياء عرب سابقون على بني إسرائيل. والصنف الثاني: يهتم بالثناء على الأنبياء والتنويه بهم وإبراز ما خصّ الله به كُلاً منهم من آيات، ومعظم هذا الصنف عن أنبياء بني إسرائيل.

والصنف الثالث: مختصّ بالمرحلة المدنية ويغلب عليه الجدل مع اليهود والنصارى حول تصورهم الله، وتذكيرهم بنعمة الله واتهامهم بالتنكّر لها وانحرافهم عن دين إبراهيم.

ج- اعتبار القصص القرآني الكريم نوعا من ضرب المثل: يَعُدُّ الجابري القصص القرآني الكريم نوعا من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل.[4]

إن هذا القول يؤول إلى أن ذكر نوح وقوم عاد وثمود وقوم لوط وشعيب كلها مجرد رموز لأجل العبرة والعظة لا علاقة لها بالواقع والتاريخ، وأنها لا تعدو ضرب مثل للنبي ﷺ مع كفار قريش، فأي مخالفة للبديهيات العقلية والتجرد للموضوعية في مثل هذه الأقوال المنحرفة والتي لا تمت للأدلة والبراهين المقبولة.[5]

---

(1) محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص:260 وما بعدها.

(2) ينظر: طارق حجي، لجابري والقراءة العقلانية للقرآن، ص:10.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص:10.

(4) ينظر: محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص:257 وما بعدها.

(5) الشبهات المتعلقة بالقرآن في كتب محمد الجابري – محسن بن حامد المطيري – مجلة الدراسات السلامية والبحوث الأكاديمية – العدد:73 – ص:66.

د- الاقتصار على ما ورد في القرآن الكريم فقط من قصص وأخبار: ذكر الجابري أن مرتكزات تعامله مع فهم القصص القرآني هو الاقتصار على ما ورد في القرآن الكريم فقط دون الالتفات إلى ما يكمل التفسير من التراث القديم من نصوص التوراة أو الإنجيل أو غيرها مما اعتمده أهل التفسير.[1]

لكننا نجده في مواضع أخرى يصرح بتوسله بنصوص من التوراة والإنجيل في تفسير القصص القرآني بحجة المقارنة، وهنا يظهر التناقض الكبير في الطرح والموضوعية، والشاهد على هذا الحكم نص قوله:" ... من هذا المنظور كذلك نستحضر نصوصا من التوراة والإنجيل قصد فسح المجال للمقارنة"[2]

هـ- قراءة القصص القرآني بالجمع بين النظرة التاريخية واستلهام العبر والعظات: يقول الجابري:" إن القصص القرآني ليس خياليا، بل هو قصص يتحدث عن وقائع تاريخية تدخل ضمن معهود العرب"[3]، ويقول كذلك:" لا معنى لطرح مسألة الحقيقة التاريخية، إن الحقيقة التي يطرحها القصص القرآني هي العبرة، هي الدرس الذي يجب استخلاصه"[4].

والحقيقة أن الغموض والتناقض يعدان الميزة الملاحظة على بعض ما يورده من آليات في فهمه للقصص القرآني فمثلا نجده في هذه الجزئية يعتمد النظرة التاريخية في فهم القصص القرآني، في حين سبق الوقوف على ما ينفي ذلك عند تعريفه للقصص القرآني، إذ جعل عقل المستمع حاكما على صدق القصة من عدمها.[5]

وقد صدق الباحث حمادي الهواري حين قال:" أما الجابري تكون التاريخية عنده تحوي الكثير من التذبذب والاضطراب، وتبقى وفية للرؤية التجزيئية التي تتميز بها إذ يفرق فيها بين وقائع غير تاريخية هي القصص القرآني، وأخرى تاريخية تتعلق بالدعوة المحمدية، وبهذا التفريق "يجعلنا ننفي صدق..."والتاريخية عن قصص القرآن، ونثبتها لأحداث الدعوة المحمدية التي حفظتها السيرة لا يستقيم منهجا علميا بل لا يجوز شرعا"[6].

تعتبر هذه الركائز بمثابة المعالم الرئيسة الموضحة لمنهجه في التعامل مع القصص القرآني الكريم.

2.4. مرتكزات الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد شحرور:

توكأ محمد شحرور في قراءته للقصص القرآني على مجموعة من الأسس والمرتكزات يمكن بيان أهمها فيما يأتي:

---

(1) ينظر: محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص:258 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه، ص:258 وما بعدها.

(3) المرجع نفسه، ص:258 وما بعدها.

(4) المرجع نفسه، ص:258 وما بعدها.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص:258.

(6) حمادي الهواري، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، ص:268.

أ- نفي الجانب الإعجازي في مساحة القصص القرآني المتعلقة بالغيبيات واعتباره عالما مادياً:

يقول شحرور:" إن قراءة القصص القرآني يجب أن تبنى على أساس أن عالم الغيب والشهادة عالمان ماديان، وأن ما نظنه معجزا وخارقا للعادة في القصص ما هو إلا سنن غاب إدراكنا لها، وقفزات معرفية ومستقبلية لا بد أن يأتي تأويلها، فكل شيء لا يدخل ضمن معقولات الإنسان يراه إعجازا"[1].

يصرح هنا شحرور بإنكاره للمعجزات التي أكرم الله بها أنبياءه ورسله، وتصديقا للحق، ويعدُّ ذلك مجرد قصور للعقل البشري في إدراك كنهها حينها، وأنها قفزات مسبقة للتطورات المعرفية المستقبلية، فنقول لهذا الرجل ألا يزال العلم البشري قاصرا عن إخراج الناقة من الصخور، أو تحويل العصا الخشبية إلى ثعبان مبين، أو إحياء الموتى وبعث بعض من كان في القبور، إن شحرور بقراءته الغريبة هذه يرمي إلى هدم أصل عظيم من أصول الدين وهو الإيمان بالغيب، بل يرمي إلى هدم الدين كله، كيف لا وقد قالها صراحة: " أن عالم الغيب والشهادة عالمان ماديان"[2]

إن شحرور بهذا التعريف يرمي إلى إثبات أن القرآن هو ما احتوى على الآيات البينات وهي الأدلة المادية فقط، في إشارة إلى إقصاء آيات الأحكام والقصص وغيرها من دائرة البينات، ومن ثم الحكم على تاريخيتها، غير أن العقل السوي فيرى بكل بينة مادية أو غير مادية، إذ البينات قد تكون أدلة عقلية، أو حججا استنباطية، أو قرائن استنتاجية ناهضة.[3]

ب- عزل القصص القرآني عن مقام التشريع والبيان:

يقول محمد شحرور:" فإننا نرى أنه لا يمكن اعتبار القصص جزءً من الرسالة التي بعثها الله وحياً وقصداً من عنده، والتي تضمنت وصايا الله للإنسان، فحوت وصايا بتشريع معين تفاعلت مع إنسان ذلك العصر. وتبقى وظيفة القصص مقتصرة على تبيان هذا التفاعل وعلى تحقيق تصديق لهذه الرسالة أي مظنة للعبرة والادّكار الناتجين عن قراءة واعية لجدل العلاقة بين مضمون الرسالة وبين الواقع التاريخي الذي كانت فيه"[4].

وبعد ذلك يخلص إلى حكمه الخاص ونظرته إلى وظيفة القصص القرآني قائلا:" إن القصص القرآني حق وموعظة وذكرى، ولكنه لا ينشئ أحكاما شرعية ملزمة على وجه التعيين تضبط السلوك الإنساني في مجال افعل ولا تفعل في مجال العقل العملي"[5].

(1) محمد شحرور، مدخل إلى القصص، ص: 17.

(2) بن زيد باي، القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، ص:585 وما بعدها.

(3) قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، ص:318..

(4) محمد شحرور، مدخل إلى القصص، ص: 09.

(5) المرجع نفسه، ص: 09.

فمقصد محمد شحرور بموقفه من القصص القرآني جلي وواضح لا يحتاج إلى تأويل، وهو وصف لمرحلة تاريخية ليس إلا، ولا علاقة لها بأي تشريع، وهذا تكريس لشبهة تاريخانية القرآن كما يزعم هو وغيره من الحداثيين، ولو اتبع شحرور الحق كما يدعيه لوفقه الله إلى فقه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.(آل عمران – الآية:62).[1]

ووجه الدلالة أن الله أمر نبيهﷺ بالاقتداء بهداهم والاقتداء بمعنى الاتباع، والأمر للوجوب، وشرعهم من هداهم، ومعنى هذا وجوب اتباع شرعهم في كل ما ثبت عنهم إلا ما قام الدليل على المنع منه[2].

ج- تدخل الخيال الشعري وطبيعة العقل البدوية للعربي زمن التنزيل في قراءة القصص القرآني[3]:

يقول شحرور في نقده للعقل العربي: "إن نظرته لدور الرسالات تقتصر على النواحي الإعجازية والأسطورية والخيالية، دون إدراك لوجود قانون موضوعي وسيرورة تطورية تحكم سيرورة الرسالات، لذلك كان على العربي أن يستدعي ركاما هائلا من عناصر غيبية إعجازية لتفسير حركات المجتمعات، فكان تلقيه للقصص مركبا على هذه النظرة، فتحولت إلى أحاديث وخرافات وظهور للخارق غير المفسر"[4].

عند الإمعان في كلام شحرور نجد أن مما يقتضيه:

- لا يعدو القصص القرآني كونه أساطير وخرافات تُترجم الخيال الديني والشعري الفسيح للعرب زمن التنزيل.
- كونها أساطير وخرافات لا ينبغي أن يبنى عليها أي حكم شرعي، وهو ما يسعى إليه شحرور لعزل القصص القرآني عن مقام التشريع والبيان.
- كونها أساطير وخرافات يحتم نزع قدسية الوحي عنها، وهو ما قام به شحرور بتقسيمه للقرآن الكريم إلى ما يجب أن يبقى حبيس زمانه كالقصص القرآني، وما يجب أن يتماشى مع سيرورة الإنسان.

3.4. المقارنة بين مرتكزات وأسس فهم القصص القرآني عند الباحثين:

أولا: مواطن الاتفاق بين مرتكزات الفهم عند الاتجاهين:

- تشترك فهومهما في نفي الإعجاز الغيبي الذي يتضمنه القصص القرآني، فشحرور يصرح بأن ما نظنه معجزا وخارقا للعادة في القصص ما هو إلا سنن غاب إدراكنا لها، وقفزات معرفية

(1) بن زيد باي، القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، ص:.584.

(2) ينظر: أسامة محمد عبد العظيم حمزة، القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، ص: 09.

(3) بن زيد باي، القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، ص:.584.

(4) محمد شحرور، مدخل إلى القصص، ص: 18 وما بعدها.

ومستقبلية لا بد أن يأتي تأويلها، ونجد الجابري كذلك يلغي ما تعلق بغير الدعوة المحمدية ويعدُّه ضربا من ضروب المثل.

- يرى كل منهما بتدخل العقل العربي البسيط وسيطرته زمن التنزيل في فهم القصص القرآني، فشحرور عدَّه من باب الأساطير والخرافات التي تُترجم الخيال الديني والشعري الفسيح للعرب زمن التنزيل، وبالمقابل يرى الجابري معيار صدق القصص وانتفائه تابع لتفاعل العقل معه من عدمه.
- تضييق دائرة مقاصد القصص القرآني وحصرها في العبرة والاتعاظ، وهو ما يقتضي تجريد القصص من خصائص التشريع والبيان.
- الثورة النقدية غير المؤسسة على علماء التفسير القدامى في أغلب مواطن النقد.

ثانيا: مواطن الاختلاف بين مرتكزات الفهم عند الاتجاهين:

- يختلف الجابري عن شحرور بتبني تفسير القصص القرآني حسب ترتيب النزول، وتحقيب القصص إلى مكي ومدني يتساوق مع الدعوة المحمدية حسب تطورها.
- يختلف شحرور عن الجابري بتبني الإقصاء التام للموروث، وإحداث القطيعة معه لأنه يعدُّه من معيقات الفهم الصحيح للقصص، بينما نجد الجابري يصرح بمصادره كتفسير الطبري والزمخشري.
- يكتنف البحث عند الجابري الغموض والإيهام، والتناقض في كثير من المواضع، وهو ما عزاه بعضهم إلى ميل الجابري لاستمالة جميع الفرق ولو على حساب المقدس.
- توسل الجابري في فهم القصص القرآني بنصوص التوراة والإنجيل بخلاف شحرور صاحب النزعة الإقصائية والقطيعة مع كل قديم.

5. نماذج من الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري ومحمد شحرور-عرض ونقد.

1.5. نماذج تطبيقية لمآلات الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد عابد الجابري .

النموذج الأول: موقف الجابري من قصة الاختصام عند داود عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾.(سورة :ص. الآية: 21.25)

الفهم الحداثي عند الجابري للآية:

ذكر الجابري أن الخصمين هما ملكان يمثلان داود وزوج المرأة التي تزوجها غصبا، وأن لفظ النعجة يراد به المرأة، ولفظ فتناه بمعنى اختبرناه بضم زوجة ذلك الرجل إلى زوجاته، وعند تهميشه لنصه ينسب للرازي قولا غريبا وخطيرا أن داود عشق امرأة " أوريا" فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها، فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته، وأورد عن الكشاف رواية هي الأخرى أغرب منها[1]

ما تضمنه تفسير الجابري:

عند التأمل نجد كثيرا من المخالفات الشرعية والتناقضات المنهجية التي ألزم نفسه بها ولعل أهمها:

- الجرأة الواضحة في هتك حجاب عصمة الأنبياء عليهم السلام في قوله عشق امرأة " أوريا" فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها.
- رغم ادعائه بأنه يقتصر على القرآن الكريم في فهم المراد، فإن تأويله هذا يناقض به نفسه، ويخل بما التزم به منهجيا.
- فحوى هذا الادعاء ساقه الجابري من التوراة المحرفة رغم أنه ألزم نفسه بالابتعاد عن أخطاء المفسرين السابقين بالتوسل بالإسرائيليات التي تعتبر من أكبر روافد حشو التفاسير القديمة بالخرافات والأساطير.

وقد قال الطاهر ابن عاشور:" وَقَدْ حُكِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي سِفْرِ «صَمْوِيلِ الثَّانِي» فِي الْإِصْحَاحِ الْحَادِيَ عَشَرَ عَلَى خِلَافِ مَا فِي الْقُرْآنِ وَعَلَى خِلَافِ مَا تَقْتَضِيهِ الْعِصْمَةُ لِنُبُوءَةِ دَاوُدَ عليه السلام فَاحْذَرُوهُ"[2].

بل للأسف نرى أن الجابري غير أمين وليس موضوعيا في نقل المعلومة، ونسبة مالا ينبغي إلى الرازي فضلا عن داود عليه السلام، إذ بتر كلامه واستدل به على مالم يقله، فأين الأمانة العلمية ههنا؟ وهو الذي تغنى كثيرا بنقد العقل العربي.

يقول الرازي رحمه الله:" والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه: الأول: أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لا ستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه إليها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه"[3].

(1) ينظر: محمد عابد الجابري، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص:203.

(2) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج:23 - ص:230.

(3) الفخر الرازي مفاتيح الغيب ،ج:01، ص:3757.

النموذج الثاني: موقف الجابري من انشقاق القمر:

قال الله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾. (سورة: القمر. الآية: 01.02)

قراءة الجابري للآية:

أول الجابري معنى انشقاق القمر تأويلا عجيبا مدعيا أنه اصطلاح حديث، حيث ذكر أن الكسوف للشمس والخسوف للقمر، بمعنى أن انشقاق القمر هو ما يعبر عنه اليوم بالخسوف بما يفيد إصابته بالسحر، والأغرب من ذلك أنه استدل على هذا المعنى بقول العامة – حسب زعمه – مما يجعل الصبيان يخرجون بالأواني من نحاس يدقون عليها لتنبيه القمر، وطرد السحر عنه.[1]

رؤية نقدية لما تضمنته قراءة الجابري:

- نفي الإعجاز في هذه الآية، وهو انشقاق القمر الذي حصل زمن النبيﷺ والذي شهدت له الآثار الصحيحة.
- من العجب أن ترى الجابري الذي يزعم تبني معهود العرب في فهم القرآن كيف يتجاوز لفظ الانشقاق إلى لفظ الخسوف، وشتان بين هذا وذاك.
- كيف لمن ألزم نفسه الاقتصار على القرآن وحده في فهمه أن يتوسل بخرافات العامة لبيان المعنى، وهل بمثل هذه النكارات يكون التفسير واضحا كما سماه هو بنفسه: ثم من تكون هذه العامة التي توسل بها لإرادة المعنى.
- ذكر الجابري أنه لفهم القرآن ينبغي التجرد من مقررات سابقة وواقع تفسيره يدل على خلاف ذلك، بل وجدنا أن الرجل يدخل بمقررات سابقة ويتخير من الشاذِّ والغريب والبعيد عن الموضوعية والعلمية ما يوافق آراءه.

2.5. نماذج تطبيقية لمآلات الفهم الحداثي للقصص القرآني عند محمد شحرور:

النموذج الأول: موقف شحرور من قصة محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه.

قال الله تعالى﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية:76. 79).

قراءة شحرور للآية:

كانت رحلة إبراهيم للبحث عن ربه وهو بين الشك واليقين، مذكورة بكل تفاصيلها في التنزيل الحكيم، بدأت مع تقليب أنظاره في ملكوت السماء والأرض، كانت خطوة إبراهيم في بحثه عن ربه أنه بدأ بتقليب

(1) ينظر: محمد عابد الجابري، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص:177.

نظره في ملكوت السماء والأرض فرأى كوكبا لامعا لعله نجم القطب، قارنه مع مخزونات إدراكه عند تردده على المعابد، فتوصل إلى أن قال هذا ربي، ولكن بعد حلول الليل انطفأ ضوؤه، فاهتدى إلى ليس برب لأنه انطفأ وهو لا يحب الآفلين، ونفس الحال تكرر معه مع القمر ولم يهتد بعد إلى الحقيقة، وطلعت الشمس ولكبر حجمها ظن أن هذا ما يبحث عنه، ولكنها أفلت بدورها عند غروبها ليستنير إبراهيم أن لهذا الكون فاطرا لكل هذا الكون لا يأفل وهو من يستحق العبادة.[1]

رؤية نقدية لما تضمنه قراءة شحرور للقصة:

- اتهام شحرور الصريح لخليل الله تعالى بالريب والشك والبحث عن ربه باطل عقلا ونقلا، إذ المقام هنا مقام الاحتجاج العقلي من إبراهيم عليه السلام على قومه، وإقامة الحجة عليهم، بل ودعوة صريحة منه عليه السلام أن يوظفوا عقولهم للوقوف على الحقيقة التي يدعو إليها.
- يرجع شحرور سبب اهتداء إبراهيم عليه السلام إلى الحق إلى المخزون المعرفي والتراكمي من تردده على المعابد، وكأن المعابد كانت وقود المعرفة الذي اهتدى به إلى الصواب، وليس هذا منه إلا لتسويغ فكرته التي يحاول الوصول إليها من القراءة الكلية للقصص القرآني وهي التطور المعرفي والحضاري للإنسان عبر التاريخ ليصل إلى مرحلة الاستقلال والتحرر من القيود والوصاية الدينية على الإنسان كما يراها.
- اتهام صريح وجريء للخليل بعبادة غير الله تعالى قبل نبوته، ولولا التراكمات المعرفية لما اهتدى إلى الحق، والآيات القرآنية واضحة الدلالة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، بل يجعل شحرور من خلال قراءته أن هذا الاستقراء الرشيد من إبراهيم عليه السلام – كما سماه. هو السبب المباشر في هدايته، وليس يخفى على عاقل خطورة هذا الحكم على مقام الاصطفاء والاختيار من الله تعالى لأوليائه وأنبيائه.

النموذج الثاني: موقف شحرور من الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها نبيه إبراهيم عليه السلام فأتمهن.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ (سورة البقرة، الآية:124).

قراءة شحرور للآية:

صار إبراهيم عليه السلام إماما للناس بعد امتحان اختبره الله به ونجح بدليل الآية السابقة، وهذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم هي الشمس والقمر والنجوم إذ أن الوجود هو كلمات الله تعالى.[2]

(1) محمد شحرور، القصص القرآني (الجزء الثاني: من نوح إلى يوسف)، ص: 96 وما بعدها. .

(2) المرجع نفسه، ص: 97.

رؤية نقدية لما تضمنه تفسير شحرور للقصة:

يرى شحرور أن سبب إمامة إبراهيم للناس في الدين هو نجاحه الفكري بعد استقراء رشيد. كما وصفه – تقلب فيه بين الشك واليقين إلى أن اهتدى إلى الصواب بعد تجربة معرفية تراكمية، وأن الكلمات المقصودة من الابتلاء في الآية هي الشمس والقمر والنجوم، وهذا التقول على الله والجرأة على نبيه هي نتاج طبيعي لمنهج يقوم على تقديس العقل، وعزل السنة عن البيان، والقطيعة مع الموروث، فعلى اختلاف في التفاصيل إلا أن المفسرين في الإجمال متفقون على الكلمات هي جملة الأوامر والنواهي التي وفَّاها إبراهيم عليه السلام كما شرعت له.

يقول ابن كثير رحمه الله:" يقول تعالى مُنَبِّهًا على شرف إبراهيم خليله عليه السلام، وأن الله تعالى جعله إماما للناس يقتدى به في التوحيد، حتى قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي، ولهذا قال: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ أي: واذكر. يا محمد. لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملَّة إبراهيم وليسوا عليها، وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم، أي: اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أي: قام بهن كلهن، كما قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم: 37]، أي: وفى جميع ما شرع له، فعمل به صلوات الله عليه"[1]

فتحريف شحرور لمقصد الآية واضح بين جلي.

3.5. مقارنة بين الباحثين في حقيقة الالتزام بمنهجية التعامل مع القصص القرآني المصرح بها من خلال النماذج التطبيقية:

مما سبق يمكن أن نجمل أهم نقاط الوفاق والفراق بينهما فيما يأتي:

أولا: مواطن الاتفاق بينهما:

- يشترك الباحثان في النأي عما التزماه من الموضوعية العلمية في تناول القصص القرآني، فعلى الرغم من الادعاء بأن الموروث التفسيري القديم من معيقات الفهم الصحيح وإعلان القطيعة معه إلا أننا نجد الباحثين يتخيران منه تحريفا ما يخدم قراءتهم المزعومة.
- التوسل العجيب بنصوص التوراة والإنجيل لبلوغ مقاصد القراءة المعاصرة، فمن جهة نرى منهما هجمة شرسة على التراث التفسيري وادعاء احتوائه على الخرافات والأباطيل، ومن جهة أخرى نجد ما توسلا به من نصوص التوراة والإنجيل المحرفة ما هو أدهى وأمر.
- تقديس العقل وتقديمه على صريح القرآن في كل ما يناقض معتقداتهم وأفكارهم.
- نفي الإعجاز عن القصص القرآني بالتأويل التعسفي للآيات الدالة على ذلك.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص: 194 وما بعدها.

- الجرأة الواضحة في التقول على الله تعالى، والنيل من قدر أنبيائه ورسله عليهم السلام.
- إقصاء القصص القرآني عن مقام التشريع والبيان.
- تجاوز الدلالة اللفظية القرآنية إلى ما يوافق هواهم ولو على حساب منهجهم المزعوم.

أولا: مواطن الاختلاف بينهما:

- تفسير القصص القرآني حسب ترتيب النزول بالنسبة للجابري مقابل تفسيره حسب ترتيب بعثة الأنبياء والرسل بالنسبة لشحرور.
- التوسل بالعلم التجريبي الحديث في قراءة القصص القرآني بالنسبة لشحرور بخلاف الجابري.
- الجابري أكثر ذكاء ودهاء من شحرور من حيث استمالة أكبر قدر من الطوائف لقراءته بخلاف شحرور.
- النزعة العلمية لكل باحث وطبيعة التكوين بين الفلسفة للجابري والهندسة لشحرور واضحة في إسقاطاتهما على القصص القرآني الكريم.

6. **خاتمة**:

بعد استعراض حقيقة الفهم الحداثي للقصص القرآني أو ما يعرف بالقراءات الجديدة أو المعاصرة، وبيان أهم الأسس والمرتكزات المنهجية التي يبنى عليها هذا الفهم عند الباحثين، والمقارنة بينهما وفق نماذج تطبيقية ظهر الخللَ المنهجي والعلمي عندهما في تناول (القصص القرآني) واضحا، ولعل أخطر مآلات هذا الفهم هو نزع ثوب القدسية عن آيات القصص القرآني، وعزله عن مقام البيان والتشريع.

ويمكن إجمال أهم نتائج البحث في ما يأتي:

- القراءتان مشروع فكري يهدف بالضرورة إلى نزع القداسة عن القصص القرآني الكريم كمرحلة أولية تمهيدا لنزعه عن القرآن الكريم ككل.
- تقديس العقل وتقديمه على النقل في كل ما يخالف أصول قراءتهم المزعومة، ولو كان المنقول صريحا لا يحتمل التأويل، ومن نتائجه رد الإعجاز ونفيه.
- مخاصمة التراث الإسلامي مقصده مخاصمة السنة النبوية وإقصاؤها من التشريع.
- الكيل بمكيالين في كيفية التعامل مع التراث الإسلامي ومرويات التوراة المحرفة، رغم ادعاء الموضوعية العلمية.
- حصر مقاصد القصص القرآني في العبرة والاتعاظ لعزله عن مقام البيان والتشريع، والمقصد من ذلك هو القول بتاريخية القرآن.
- التناقض الواضح في مناهج الاستدلال، والتخبط العشوائي في الاستنباط غير المؤسس والمؤهل.

- رغم اختلاف آليات التعامل مع القصص القرآني بينهما ولكن تجمعما الغاية الوحيدة وهي التشكيك في الثوابت تمهيدا لنزع المقدس.
- استحالة التوسل بالنظريات البشرية القاصرة في فهم الكمال المطلق.
- تجاوز الدلالة اللفظية القرآنية إلى ما يوافق هواهم ولو على حساب منهجهم المزعوم.
- النزعة العلمية لكل باحث وطبيعة التكوين بين الفلسفة للجابري والهندسة لشحرور واضحة في إسقاطاتهما على القصص القرآني الكريم.
- عند الحديث عن القصص الذي يتعلق بالنبي ﷺ فإن الجابري يَعْتَبر كتب السيرة التي تحدثت عن ذلك دليل صدقها، بينما نجد شحرور يلغيها تماما، ويعدّها أساطير وفي ذلك لمز مباشر وصريح لما دُوِّن من السنة المطهرة.
- القصص القرآني الذي يتعلق بأخبار الأولين يعدُّها شحرور أحداثا إنسانية، وقد سجلت بعد وقوعها وليس يخفى ما هذا الادعاء من قدح في علم الله تعالى، بينما يراها الجابري أنها من باب فسيح الخيال.
- يختلف الجابري عن شحرور بتبني تفسير القصص القرآني حسب ترتيب النزول، وتحقيب القصص إلى مكي ومدني يتساوق مع الدعوة المحمدية حسب تطورها، وهو أمر خطير لازمه أن القرآن حادث ولم يكن كذلك قبل الدعوة.

7. **قائمة المراجع**:

- ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، د.ت، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 2000م، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط.1.
- بن زيد، باي، 2018 ،ا لقراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمد شحرور، القراءات الحداثية للعلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر.
- بن علي، أمال ووبن عطية، عطية، 2022م، القراءة الحديثة للنص الديني في الفكر العربي المعاصر(محمد عابد الجابري أنموذجا)، مجلة دراسات، العدد***01***، المجلد:***11*** ، ص:443.
- الجابري، محمد عابد، 1997، حفريات في الذاكرة من بعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، يروت، لبنان، ط:1.
- الجابري، محمد عابد، 2006م، مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط.1
- الجابري، محمد عابد، 2008م، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، المغرب، الدار البيضاء، ظ.1.

- الرازي، فخر الدين، 1401هـ1981م، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط.1.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، د. ت، مختار الصحاح، لبنان، بيروت، دار القلم.
- الريسوني، قطب، 2010، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط.1.
- شحرور، محمد، 2010م، مدخل إلى القصص، محمد دار الساقي، ط.2 .
- شحرور، محمد، 2012م، القصص القرآني (الجزء الثاني: من نوح إلى يوسف)، دار الساقي، ط.1.
- شحرور، محمد، د.ت، الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، سوريا، الأهالي للطباعة والنشر، د.ط.
- عبد العظيم حمزة، أسامة محمد، 1429هـ ،2008م، القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، دار الفتح، ط.2.
- علي صالح، محمود علي أحمد، 2015م، القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند محمد أركون(عرض ونقد)، مجلة القلم، العدد:4، ص: 38.
- المطيري، محسن بن حامد، الشبهات المتعلقة بالقرآن في كتب محمد الجابري، مجلة الدراسات السلامية والبحوث الأكاديمية، العدد:73، ص:66.
- مناع، القطان، ***1995*** *م*، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط*.7*.
- الهواري، حمادي، 2012.2013، النص القرآني وآليات الفهم المباشر-- أطروحة دكتوراه – كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، وهران، الجزائر.

8. Bibliography List

- Abdul Adhim Hamza, Osama Muhammad, 1429 AH, 2008 AD, Quranic Stories and Their Effect on Deriving Rulings, Dar Al-Fath, Sultanate of Oman.
- Al-Hawari, Hammadi, the Quranic text and the mechanisms of direct understanding- PhD thesis-Faculty of Humanities and Islamic sciences, Oran, Algeria, 2012.2013.

- Ali Saleh, Mahmoud Ali Ahmed, 2015, contemporary reading of the text of the Fatiha Surah by Muhammad Arkun (presentation and criticism), Al-Qalam Magazine, Issue:4, P:38.
- Al-Jabiri, Muhammad Abed, 1997 AD, Excavations in Memory from Afar, Arab Unity Studies Center, Beirut, Lebanon.
- Al-Jabiri, Muhammad Abed, 2006 AD, Introduction to the Holy Qur'an, Arab Unity Studies Center, Lebanon.
- Al-Jabiri, Muhammad Abed, 2008AD, The Clear Interpretation According to the Order of Revelation, Morocco, Casablanca,
- Al-Mutairi, Mohsen bin Hamed, suspicions related to the Quran in the books of Muhammad al-Jabri, Journal of Islamic Studies and academic research, issue:73, P:66.
- Al-Raysuni, Qutb, 2010 AD, The Qur'anic Text from the Incoherence of Reading to the Horizon of Contemplation, Publications of the Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Morocco.
- Al-Razi, Fakhr al-Din, 1401 AH/1981 AD, Keys to the Unseen, Dar al-Fikr, Syria
- Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr, Mukhtar al-Sihah, Dar al-Qalam Beirut, Lebanon.
- Ben Ali, Amal and Ben Attiya, Attiya, 2022, the modern reading of the religious text in contemporary Arab Thought (Mohammed Abed al-Jabri as a model), Journal of studies, No. 01, Vol: 11, p: 443.
- Ben Zaid, Bey, 2018, a contemporary reading of the Quranic stories by Muhammad Shahrour, modern readings of Islamic Sciences, University of Eloued, Algeria.
- Ibn Ashur, Al-Tahir, Tafsir Al-Tahrir wa Al-Tanwir, Tunisian House for Publishing, Tunis
- Ibn Kathir, Ismail bin Omar, 2000 AD, Interpretation of the Great Qur'an, Dar Ibn Hazm.
- Manaa, Al-Qattan, 1995 AD, Studies in Quranic Sciences, Wahba Library, Cairo.

- Shahrour, Muhammad, 2010 AD, Introduction to Stories, Muhammad Dar al-Saqi, Beirut, Lebanon.
- Shahrour, Muhammad, 2012 AD, Qur'anic Stories (Part Two: From Noah to Joseph), Dar al-Saqi, Beirut, Lebanon.
- Shahrour, Muhammad, n.d., The Book and the Qur'an, a Contemporary Reading, Syria, Al-Ahali for Printing and Publishing.